الاعتكاف أعلى درجات حفظ الصوم

محمد بن أحمد الأنصاري

رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفظ الصوم مما يمحق أجره، ويخليه من مقاصده، فقال صلى الله عليه وسلم: " قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم ".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

وإن مما يحفظ به الصوم اجتناب المواطن والأحوال التي تكون مظانا لدفع الصائم إلى ارتكابه ما يخل بصحة صومه أو تمام أجره.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: الأسواق، والطرقات، ومجامع الناس التي يغلب عليها اللغط والقيل والقال، وقد يكون ذلك بمجرد العزلة وعدم غشيان تلك المواطن إلا للضرورة إلى ما لا بد منه، وهذا أقل ما يحصل به ذلك الحفظ.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "فمن كان في اجتماعه بالناس خير، فترك العزلة أولى، ومن خاف على نفسه باختلاطه بالناس لكونه سريع الافتتان قليل الإفادة للناس، فبقاؤه في بيته خير، والمؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم".

ثم تاتي بعد ذلك درجة أعلى من هذه الدرجة وهي أن يضيف إلى اعتزال تلك المواطن ملازمة مواطن الذكر والعبادة، ومجالس الصالحين، ومحافل العلم، وحلق القرآن، ونحو ذلك مما هو كله عبادة وقربة إلى الله تعالى، واستزادة مما يُرشد إليه، ويُقرب منه، ويُبعد عن الضلال والغي.

ثم تأتي درجة ثالثة هي أعلاها وهي لزوم مسجد من المساجد لطاعة الله تعالى، وتلك هي عبادة الاعتكاف التي لازمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أزواجه من بعده وصحابته، ثم أئمة هذه الأمة من العلماء والعباد إلى يومنا هذا.

وتتأكد سنية هذه العبادة في العشر الأواخر من رمضان لملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم للاعتكاف فيها.

ولا يحصل أجر الاعتكاف إلا بالنية، فينبغي لمن قصد المسجد أن ينوي الاعتكاف مدة لبثه فيه لاسيما إن كان صائماً.

ولا يتحقق المقصود من هذه العبادة بما يفعله بعض الناس من تحويل مجالسهم المعتادةوأحاديثهم المتداولة إلى المساجد بدل البيوت والاستراحات التي كانت محلا لها، بل بملازمة المساجد للتفرغ للعبادة والإعراض عن الفضول وما يخدش الصوم أو يُنقص من أجره.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، والتأسي بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

محمد بن أحمد الأنصاري